

صفحة من تاريخ البصرة والمنتفق

من رحلة للمسّـر توماس هوويل البريطاني (١)

خلال سنة ١٧٨٧-١٧٨٨ م

Une Page de L'Histoire de Basrah.

للتاريخ نفع لا يجهله الكثيرون ولذا لمن لهم ميل الى الوقوف على اخبار من سلف . واهم غايات التاريخ الانتفاع من التجارب التي سجلتها الايام المطوية على صحائفها الخالدة . ويقضي الواجب على المؤرخ ان ينتقي اصدق الروايات مما دونه كتبه الوقائع مميزا منها الفث من السمين . ولا مشاحة في ان هؤلاء المدونين يختلفون في ادواقهم ومشاربهم وآرائهم فمنهم من يسيطر على قلمه فيملي عليه مآتهوا لانفسه غير مكترث للحقي ومنهم من يكتب ما يوحيه اليه ضميره وهو على غير هدى ومنهم من لا يسطر شيئا الا قد تروى مليا في الامر وتبصر فيه وسبر غورها فيتوخى الواقع غير هيب ولا وجل .

ان مصادر تاريخ العراق للقرن الثامن عشر قليلة فرأيت ان اضيف اليها تعريب صفحة جاءت تبثنا عن حالة البصرة في احدى سني الربع الاخير من ذلك القرن الغابر حينما استولى عليها ثويني العبدالله المعروف بـ « ابي قريحة » (٢) (بالتصغير والتأنيث) تاركا للمؤرخ النصف ان يتحرى اصدق المآخذ مؤيدا رأي هذا ومزيفا فكر ذاك وهو ما يطالبه التاريخ الحق .

وقبل ان اقدم على التعريب لا بد لي من ابداء كلمات وجيزة للتعريف بزعيم المنتفق الشيخ ثويني العبدالله المحمد المانع . ومحمد هذا هو ابو سعدون الذي تعرف به اليوم الحمولة بالسعدونية الشهيرة التي كان اباؤها يسمون بـ « آل شيب » قبل عصر

(١) Voyage en retour de l'Inde par terre... par Thomas Huwelle M.D. traduit de l'Anglais par Théophile Mandras, Paris au V (1727) P. 23-24.

(٢) هي ابنته واسمها قريحة تصغر قرحاء وفي المنتفق في الفراف ارض اسمها « الاقرح » واخرى لسماها تل قرحة (تل قرحا) ولا بد ان اسم « قريحة » مأخوذ من المعنى الصحيح ويظهر انهم ارادوا بقرحا بقاء او ماضاهي هذا المعنى . الكاتب

سعدون ونبوغه . وما شبيب إلا احد الجلود الاعلى ذوي الشرف الباذخ والسودد العزيز . فتوطني اذن هو من آل شبيب وهو ابن اخي سعدون . وقد ابتدأت زعماء للمرة الاولى سنة ١١٩٣ هـ (١٧٧٩ م) على اثر قتل الخزاعل (خزاعة) ثلثا من عمه سعدون (١) . وليست تسمية آل شبيب بغريبة عنا بل هي معروفة في عهدنا هذا ايضا وهي تطلق على اقرباء آل سعدون الذين يمتون اليهم بشبيب . وبعد هذا التمهد اعود الى صاحب الرحلة وهو من موظفي شركة الهند الشرقية وكن في البصرة في شباط سنة ١٧٨٨ م (١٢٠٣ هـ) اي بعد الواقعة ببضعة اشهر فقط . وقد قال ماتعريبه :

« لم تبق تجارة البصرة زاهية كما كانت عليها قبلا لكنها لا تزال المخزن التجاري الاهم في هذه الاصقاع فيشرى التاجر فيها واما حاكمها فهو تركي (٢) وسكانها عرب وقد توطنها اسر تركية وارمنية .

« وكن الشيخ ثويني - الشيخ العربي القدير - قد استولى على هذه الحاضرة في سنة ١٧٨٧ م (١٢٠٢ هـ) بتدبير الصائبة فجاجاً حاميتها واحتل المدينة بدون مقاومة . والامر الذي يجب توجيه النظر اليه انه لم يصب اذ ذاك احد من سكانها باهانة ولم يتجاوز احد على مال لاحدهم . ولم يطلب الشيخ من سكانها غرامة حربية . وبعد ان استولت جيوش الشيخ بنصف ساعة عادت شؤون الناس تجري بانتظام لا شوبه ما يخل به فكأنهم لم يقع هناك حادث يفوق العادة (٣) .

(١) كتاب دوحه الوزراء بالتركيب وهو في تاريخ المراثي ومؤلفه رسول افندي حاوي ابن الملا يعقوب الماهوني الاصل وتجد ترجمته في جريدة «المرب» العددية في عددها الـ ٢٨ المؤرخ في ٣ ايلول سنة ١٩١٧ وكانت وفاته سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م)
(٢) كان متسلما ابراهيم افندي (دوحه الوزراء في وقائع سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) وفي مختصر مطالع السعود بطبيب اخبار الوالي داود : ابراهيم بك . الاصل لابن سند منه نسخة مخطوطة في خزانه كتب جامع مرجان ، والمتنصر لامين بن حسن الحلواني طبع في بومبي سنة ١٣٠٤ هـ

٣١ جاء ذكر الواقعة في دوحه الوزراء وجاء في رساله تجاربه برسالة من البصرة معاصرة لاذ الحوادث ان ثويني استولى على البصرة في ايار سنة ١٧٨٧ م (١٢٠٢ هـ) ثم قدم والي بغداد فلسترجمها منه في آب من تلك السنة .

« ان الشعوب المعننة في المدينة والعلم لتعبط هذا الحالة الداعية الى الشرف وهي ترينا انه مع ما عليه الاعراب من ميلهم الى السلب والنهب فان لهم انظمة ووساير تبعث بهم الى حب السلام، رائدتها الطاعة القسوى لرئيسهم وهو روح النظام العسكري .

« اما الشيخ فهو كهل شجاع باسل ذو اقدام على العمل قل من يفوقه وهو عزيز لدى وطنيه، لحسن تبصره في الامور وتوقد ذهنه وجنوحه الى جانب الحق ولاعتداله الذي يتمشى عليه في شؤون امارته ولقد جعلته هذه الصفات محترما عند الناس كافة .

« دام حكم الشيخ في البصرة ثلاثة اشهر ثم علم ان باشا بغداد (١) - وهو متبوع الشيخ في تادية الضريبة - كان قد قدم بحاربه بجيش قوامه ستة آلاف جندي فجمع الشيخ قواه واتجه بها الى شواطئ الفرات ليقابل عدوا فالتقى الجيشان هناك على بعد من البصرة واشتبك القتال واستمر بين الفريقين ولم تنجل النتيجة الحاسمة بادى، بل باتت اخيرا بجانب الاتراك وانفل العرب ففر الشيخ البائس يتبعه بعض ذويه وقد نجوا من ملحمة النهار . ثم خطب الشيخ ود الباشا مستميلا اياه وطلب اليه المعنزة عما صدر منه ولكن الباشا رفض طلبه واقام مقامه « شيخا » غيره (٢)

« اجل ازال حكم ثويني من البصرة ولكنه بقي يرأس عشيرة كبيرة تبذل نفسها لخدمته خدمة تصوحا لحبها اياه وشفقها به ولا يبعد ان يصبح عدو الباشا الازرق ان لم يعد الباشا الى منصبه » اه

مر الرحلة بالعراق قافلا من الهند ووجهته لندن فوصل اليها والقي عصا الترحال فيها ثم نشر رحلته وبي مطاويها كلمته الاخيرة عن الشيخ ثويني ثم جاءت الوقائع مصداقا لما ارتآه اذ اضطر والي بغداد سليمان باشا وهو في اخرج المواقف الى اعادة الشيخ ثويني الى منصبه للمرة الثالثة ليستعين به على بحاربة الوهابي فترجع الشيخ على مسند (٣) الحكم ورحل الى انحاء نجد للايقاع بالعدو لكن عبدا اسمه طميس (٤)

(١) سليمان باشا (دوحة الوزراء) وتاريخ جودت ٤ : ١٠٦

(٢) هو حمود الناصر السعدون (دوحة الوزراء) (٣) وصفته في هذه للجلة ٢ : ٥٠٧

(٤) الطمس التل من الرمل ولماها تصحيف الدعص الفصيحة .

(بالتصغير) ، وهو من عبيد جبور بني خالد ، اغتاله هناك في موضع اسمه الشباك (١) .
 (وهو ماء في ديرة بني خالد) في اليوم الرابع من المحرم سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) .
 وقتل القاتل في ساعته وهو ينتمي الى الوهابيين . وقد جرت قصيته مذ ذاك المثلثا
 يضرب به عند المتفق فيقولون : « باع بيعة طعيس » يريدون بها انه صمم على
 الامر ولا يرجع عنه ولو يعقبه الموت الزؤام . ويقال ان قبر ثويني معروف
 في تلك الانحاء .

وهنا اختتم حاشيتي التي جاءت كذيل لما اردت تعريبه من ذكر عهدياعد
 وبقي تاريخه في تضاعيف الكتب والاسفار .

يعقوب نعوم سركيس

معرفة يوم الشهر القمري

من يوم الشهر الشمسي

Comment reconnaître le quantième d'un jour lunaire

اذا اردت ان تعرف يوم الشهر القمري الذي انت فيه من يوم الشهر الشمسي
 الذي انت فيه ، احسب عدد الشهور منذ آذار الى الشهر الشمسي الذي انت فيه
 ثم زد على ذلك عدد ايام الشهر الشمسي الذي انت فيه . وا طرح من هذا المجموع ١٤
 يخرج عنك يوم القمر في الشهر الشمسي الذي انت فيه على ما ينهيه الفلكيون
 والأطرح ١٦ يكن عنك اليوم القمري على ما يرى هنالك رؤية العين .

مثال ذلك تريد ان تعرف يوم الشهر القمري وانت في ١٧ كانون الاول
 فعدد الأشهر من آذار الى كانون الاول هو ١٠ تضيف اليه ١٧ وهو اليوم الذي
 انت فيه من كانون الاول فيكون المجموع ٢٧ ثم اطرح من هذا الرقم ١٤
 فيخرج ١٣ وهو يوم الشهر القمري عند الفلكيين وإلا فاطرح ١٦ فيخرج ١١
 وهو يوم الشهر بالنظر الى اول يوم من رؤيته هلاله .

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ١ : ٧٥ ودوحة الوزراء ومختصر مطالع السعود ونسبي
 بعضهم الشباك) كانها جمع الشبكه) ويلفظونها بالسكان الشين وباء مبهمه الحركة وكان
 ينطق بها كالجيم الفارسية المثلثة وفي الاخرها . و ذكر معجم البلدان لياقوت عدة مياه بهذا
 الاسم ونسبها . والشبكة الابار المتقاربة . (الكتاب وجميع الحواشي السابقة له)